حكاياتٌ دعويّة
(٤)

يا أَعْرابيُّ: أَتَدري مَنْ أَنَا

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

يا أعرابيّ : أتدري مَنْ أنا؟!

في إحدىٰ سَهَراتِ الشتاءِ الطويلةِ ، طلبَتْ (هدىٰ) من جَدَّتِها (أنيسة) أن تَحكيَ لها.. ولإخوتِها بعضاً من الحكاياتِ التي تَحْفَظُها..

وبَعْدَ إلحاحٍ وافقَتِ الجدَّةُ علىٰ الطَّلَبِ ، لكنْ شريطةَ أنْ يَنتظرَها الأولادُ حتىٰ تؤديَ صلاةَ المغْرِب..

وتَحَلَّقَ الأولادُ حولَ المِدْفأةِ.. وراحُوا ينتظرونَ حكاياتِ جَدَّتهم...

بعد قليلٍ ، انتهت الجدّةُ من الصلاةِ والدعاءِ والذِّكْرِ ، ثم قامتْ إلىٰ كُرْسِيّها قُربَ المدفأةِ ، وراحتْ تَحكي للأحفادِ هذه الحكاياتِ الرائعةَ :

... في البدايةِ يا أحبّائي سأَحكي لكم واحدةً من الحِكاياتِ التراثيّةِ ، والتي تَحْملُ في طيّاتِها العِظات والعبرَ...

خرجَ الخليفةُ العباسيُّ (المهدي) في رحلةِ صيدٍ ، فلما ابتعدَ عن جُنْدِه وحاشيتِه... إذا بِفَرَسِهِ يقعُ علىٰ الأرضِ... ، مما اضطرَّ الخليفةُ لأنْ يَلْجأَ إلىٰ خَيمةِ أحدِ الأعراب... فَرَحَّبَ الأعرابيُّ بالخليفةِ وهو لا يعرفُ أنه الخليفةُ!

فقال (المهدي) : هل مِنْ ضِيافَةٍ؟

فَأَخْرجَ الأعرابيُّ قِرْصاً من شَعيرٍ ، فَطَرَحَهُ للمَهْدي ، فَأَخَذَه المهدي وأَكلَهُ ، ثم أَخرجَ له فَضْلةً من لَبَنٍ ، فأَخذَها وشَرِبَها ، ثم أتاه بنبيذٍ في رَكْوَةٍ فَسَقاه ، فلمّا شربَ قال للأعرابيِّ : أَتْدري مَنْ أنا؟

نَظَرَ الأعرابيّ إلى الضَّيفِ... ودقَّقَ النظَرَ.. ثم قال : لا .

قال : أنا مِنْ خَدَمِ أَميرِ المؤمنينَ الخاصّة .

فقال الأعرابي : بارِكَ اللهُ في مَوْضِعِكَ..

ثم سَقاه الأعرابيّ مرةً أخرىٰ ، فقال المهدي : يا أعرابي! أَتدري مَنْ أنا؟

قال : زَعَمْتَ أنّكَ من خَدمِ أميرِ المؤمنين الخاصّة .

فقال المهدي : لا ، أنا مِنْ قُوّادِ أميرِ المؤمنين...

قال الأعرابيّ : بارِكَ اللهُ فيك ، وبَلّغَكَ مُرادَكَ ، ثم سقاه الثالثة .

فقال المهدي : يا أعرابيّ! أَتدري مَنْ أنا؟

قال الأعرابيّ : زَعَمْتَ أنّك من قُوّادِ أميرِ المؤمنين...

فقال المهدي : لا ، ولكنني أميرُ المؤمنين!!

فأخذَ الأعرابيّ الرّكوة ، ووضَعَها علىٰ الأرضِ ، ثم قال :

إليك عنّي ، فواللهِ لو شربْتَ الرابعةَ لادَّعَيْتَ أنكَ رسولُ اللهِ!!!

فضَحِكَ المهدي حتىٰ غُشِيَ عليه...

وبعد قليل أحاطَتْ بالخِباءِ الخيلُ ، ونَزَلَ إلىٰ الضّيفِ الأمراءُ والأشْرافُ..

ولما رأىٰ الأعرابيّ ذلك عَلِمَ أَنّ هذا الضيفَ هو بحقٍّ أميرُ المؤمنين ، فكادَ قلبُهُ يَطيرُ من صَدرِه... وتوقَّعَ أنْ تَحُلَّ به عُقوبةٌ عظيمةٌ و...

لكنّ المهدي قال له : لا بأسَ عليكَ ولا خَوْفَ.. ، ثم أَمَرَ له بكُسْوةٍ ومالٍ جَزيلٍ..

* * *

فَرْخُ البَطِّ عَوّامٌ!!

قالتْ (صفاء) لجَدّتِها : أنا أحبُّ القِصصَ التراثيةَ ، وأُسَجّلُها علىٰ دَفترٍ خاصٍّ... .

فقالتِ الجدّةُ : هاتي أَجْمَلَ قصةٍ تراثيةٍ عندك يا صفاء ثم اقْرئيها علينا... عسىٰ أن تكوني في المستقبلِ القَريبِ من المهتمّين بالآدابِ وعلومِها..

... أخرجتْ (صفاء) الدفترَ من حَقيبَتِها ، ثم قَلّبتْ بعضَ أوراقِه.. حتىٰ وَصلتْ إلىٰ صَفحةٍ من صَفَحاتِه ، ثم تَوَجَّهَتْ نحوَ الصِّغار وقالت :

هلْ لديكم استعدادٌ للاستماعِ إلىٰ واحدةٍ من الحكاياتِ التراثيةِ ؟

وأَنْصَتَ الجميعُ إلىٰ الحكايةِ التاليةِ :

كانَ (المنصور) ـ الخليفةُ العباسي ـ مُعْجَباً بمحادَثَةِ (محمد بن جعفر).. ، ولِعِظَمِ قَدْرِه يَفْزعُ الناسُ إليه في الشّفاعات .

فَثَقُل ذلك علىٰ (المنصور) فَحَجَبَهُ مدَّةً ، ثم لم يَصْبِرْ عنه ، فأمرَ الرّبيع حاجبَه أن يُكَلِّمه في ذلك .

فكَلَّمَه وقال : أعْفه يا أميرَ المؤمنين ، ولا تُثْقلْ عليه في الشّفاعاتِ ، فقبِلَ ذلكَ منه..

فلما تَوَجَّهَ إلىٰ البابِ اعترَضه قومٌ من قريشٍ ، معهم رقاع[1] ، فسألوه إيصالَها إلىٰ المنصورِ ، فقصّ عليهم القصّةَ ، فأَبوْا إلا أن يأخُذَها .

فقال : اقْذِفوها في كُمّي ، ثم دَخَلَ على الخليفةِ وهو مُشرفٌ علىٰ مدينة السّلام بغداد ، وما حولَها من البساتين .

فقالَ له : أما تَرىٰ إلىٰ حُسْنِها يا أبا عبدِ اللهِ؟

---

(١) ما يُكتب عليها .

فقال له : يا أميرَ المؤمنينَ! بارَكَ اللهُ فيما آتاكَ وهَنَّأكَ بإتمامِ نِعمتِه عليك فيما أعطاكَ! فما بَنَتِ العرب في دولةِ الإسلامِ ولا العجمُ في سالفِ الأيامِ أَحْصَنَ ولا أَحْسَنَ من مدينتِكَ ، ولكنْ كَرّهَتْها في عينيَّ خَصْلَةٌ!

قال : وما هي؟

قال : ليستَ لي ضَيْعَةٌ فتبسَّمَ وقال : قد حسَّنْتُها في عينِكَ بثَلاثِ ضِياعٍ قد أَقْطَعتُكها!

فقال : للهِ دَرُّكَ يا أميرَ المؤمنين! إنكَ شرَيفُ المواردِ ، كريم المصادر ، جَعَلَ اللهُ تعالىٰ باقيَ عُمركَ أكثرَ من مَاضيهِ ، ثم أقامَ معَهُ يومَهُ ذلكِ .

فلما نَهَضَ ليقوم ، بدَتْ الرِّقاعُ من كمّه ، فجعل يردُّها ويقول : ارجعْنَ خائباتٍ خاسراتٍ ، فضحكَ الخليفةُ وقال : بحقّي عليكَ إلا أَخْبَرْتَني وأَعْلَمتَني بخبرِ هذه الرِّقاع .

فأعلَمه ، فقال : ما أَتيتُ يابنَ معلمِّ الخيرِ إلا كريماً ، وتمثّل بقولِ عبدِ اللهِ بن معاوية :

لسْنـــا وإنْ أحســـابُنـــا كَـــرُمَـــتْ

يـــومـــاً علـــىٰ الأحســـابِ نَتَّكِـــلُ

نَبنـــي كمـــا كـــانـــتْ أوائلُنـــا

تَبْنـــي ونَفْعَـــلُ مِثْلَمـــا مـــا فعلـــوا

... ثم تَصَفَّحَ الرقاعَ ، وقضىٰ حوائجَ أصحابِها جميعاً...

.. هزّتْ الجَدَّةُ رأسَها فَرَحاً بالحكايةِ التي أَلْقتْها (صفاء).. ثم قامَتْ إليها وقَبَّلَتْها علىٰ جبينِها ، ثم قالتْ : لقد صَدَقَ الذين قالوا : (فَرْخُ البَطِّ عَوّام!!)..

* * *

.. لا أدْفَعُها إلاّ إلىٰ مُسْتَحِقّها!!

وقال الأولادُ للجَدَّةِ :

نريدُ أن تَحكيَ لنا حِكايةً ثانيةً من حِكاياتِكِ الرائعةِ...

فقالتْ لهم : انتظروني قليلاً ، فدخلتْ إلىٰ غرفتِها ، ثم أَحضرتْ (الجوزَ واللوزَ والسكاكر) ، ثم وزَّعتْها عليهم.. ، وراحَتْ تَحكي لهم هذه الحكايةَ التراثيةَ :

... لما أرادَ امرؤُ القيسِ المضيَّ إلىٰ قَيصر ملكِ الرومِ ، أودع عندَ (السَّمَوْءَل) دُروعاً وسِلاحاً وأَمْتعةً ، تساوي جملةً كثيرة .

فلما مات (امرؤ القيس) أَرْسَلَ ملكُ كِنْدَةَ يَطلبُ

الدّروعَ والأسلحةَ المودَعةَ عند السموءل .

فقال السَّمَوءل : لا أَدْفَعُها إلا إلىٰ مُسْتَحِقِّها!

وأَبىٰ أن يَدْفَعَ إليه منها شيئاً ، فعاوَدَه ، فأبىٰ وقال : لا أَغْدرُ بِذِمَّتي ، ولا أخونُ أمانتي ، ولا أتركُ الوفاءَ الواجبَ عليَّ!

فَقَصَدَه ذلكَ الملكُ من كِنْدة بعَسْكَرِه ، فدخلَ السَّمَوْءل في حِصْنِه ، وامتنعَ به ، فحاصرهُ ذلك الملكُ ، وكان للسَّمَوءل ولدٌ خارجَ الحِصْن ، فَظَفِرَ به الملكُ وأَخَذَه أسيراً ، ثم طافَ حَولَ الحصن ، وصاحَ بالسَّمَوْءل ، فأشرفَ عليه مِنْ أعلىٰ الحصن ، فلمّا رآهُ قال له : إنّ ولدَكَ قد أسرتُه ، وهو ذا معي ، فإن سلَّمتَ إليّ الدروعَ والسلاحَ رحلتُ عنك ، وسلَّمْتُ إليكَ وَلدَك ، وإن امتنعْتَ من ذلك ذبحتُ ولدَكَ وأنتَ تَنْظر! فاختَرْ أيَّهما شِئْتَ...

فقال له السموءل : ما كنتُ لأُخْفِرَ ذِمامي ،

وأُبْطِلَ وَفائي ، فاصْنَعْ ما شِئْتَ!

فَذَبحَ ولدَه ، وهو يَنْظُر...

ثم لما عَجَزَ عن الحصنِ رَجَعَ خائباً ، واحتسبَ السموءل ذَبْحَ ابنِه ، وصَبَرَ محافظةً علىٰ وفائه .

فلما جاء الموسِمُ وحَضَرَ ورثةُ امرىء القيس ، سلَّم إليهم الدروعَ والسِّلاحَ ، ورأىٰ حِفْظَ ذِمامِه ، ورعايةَ وفائِهِ أحبَّ إليه من حياةِ وَلدِه وبقائه!!

وقال في ذلك :

وَفَيــتُ بــأدْرُعِ الكِنْــديّ إنــي

إذا مــا خــانَ أَقْــوامٌ وَفَيْــتُ...

* * *

ذكاء غلام!!

قال (علاء) : إذا سَمَحَتْ لي جَدّتي فسأُحَدّثكم بقصةٍ قصيرةٍ ، جَرتْ في العهودِ الماضيةِ..

رَحَّبَتِ الجدّةُ بذلك ، وقالتْ : هاتِ ما عندكَ يا بُنيَّ...

وراح (علاء) يقرأُ من الورقةِ ما يلي :

رُوِيَ أنّ غلاماً للحَسَنِ بنِ عليّ رضي الله عنهما جنىٰ جنايةً تُوجِبُ العِقابَ...

فقال الحسنُ : اضْرِبوه .

فقال الغُلامُ : يا مَولايَ : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[1] قال : خَلُّوا عنه .

---

(١) سورة آل عمران : / ١٣٤/ .

فقال الغلامُ : يا مولاي : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾[1] .

قال : قد عفوتُ عنك .

قال : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2] .

قال : أنتَ حرٌّ لوجهِ الله تعالىٰ ، ولكَ ضِعْفُ ما كنتُ أُعْطيكَ..

* * *

---

(١) سورة آل عمران : / ١٣٤/ .

(٢) سورة آل عمران : / ١٣٤/ .